

-١٥٨-

لكننا هنا

ونحن مقعدون ضاع ظلنا

على الحوائط الكئيبة السوداء

قد ننشد الألوان والضياء

لكننا وفي انتظار من مضوا

نظل قابعين عاجزين في حديقة الشتاء

وقد كان من الممكن أن تنتهى القصيدة قبل هذا المقطع الأخير، بعد أن قدمت تبريرا لكل تلك الأحزان، بانتظار من مضوا من الأهل والرفاق ، والتطلع إلى الربيع وعطائه الوافر من الجمال والسلام ، والتودد إليه بالخجل والمعذرة، فرارا من اللوم والتأنيب، لكن القصيدة استسلمت مرة أخرى لروح الكآبة والعجز التى سيطرت عليها منذ البداية، فغطى نشيجها الأخير على التبرير والرجاء والمعذرة دون مقتضى فنى ذى قيمة .

وهنا ينبغي فهم إحساس (الخوف) الذى يواجهنا أكثر من مرة فى قصائد الديوان ، فهناك فرق بين الحديث عن الخوف كاحساس فردى قاتل غائم الأسباب، والحديث عن الخوف كاحساس اجتماعى ممتد نتيجة ظروف متخلقة كالقمع والقهر والتمزق بين المظهر والحقيقة ، وغلبة الغوغاء والجهال والسفهاء بالتحكم فى قيم الناس بالطغيان والجبروت ، حينئذ يوجد الخوف ، وهو خوف مغرور الأسباب والظروف والحديث عنه شجاعة والتزام ، وهذا النوع الأخير هو الذى جاء فى الديوان :

حين كذبنا خفنا

وفرحنا بهدايانا من سوق الزيف

هذا قدر الكذابين

الخوف ... الخوف

والكذب هنا كذب السلوك والكلام والقيم والناس ، والأشياء ، حتى الأشياء كاذبة !

جوقة مظهرية مهرجة باطشة ، خلفها يعيش الخوف الاجتماعى المدمر .